مساحة خضراء

سنوات الثمانينيات

فؤاد عبدالقادر

□ حضورنا قصيدة، والحب في اليمن مهرجان، هذه المقولة الجميلة هي شعار مؤتمر الشعر العربي الألماني الذي عقد في صنعاء خلال الفترة) ١٣ - ٩ (فبراير٢٠٠٢ م.
العشرات من الشعراء العرب واليمنيين والألمان أشعلوا ليل صنعاء فرحاً وحبوراً.
أحفاد غوته، شاعر ألمانيا العظيم، حضروا وشاركوا في مؤتمر الشعر والجمال والحب.
حضورنا قصيدة، والحب في اليمن مهرجان، من أجمل المؤتمرات الشعبية الشعرية التي احتضنتها صنعاء، كانت سنوات الثمانينيات والتسعينيات وبداية الألفية الثالثة، من أخصب المراحل التي مرت بها اليمن والثقافة على وجه الخصوص.
في تلك الفترة استضافت البلاد وعقدت في صنعاء أكثر من مهرجان وندوة ومؤتمر ثقافي بين الشعر والفكر والأدب.

درويش.. في حضرة الغياب

● لم يكن رحيل الشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش في التاسع من آب ٢٠٠٨ حدثاً عادياً فالرجل عنوان لحداثة شعرية انقطعت أخبارها في القصيدة العربية من العصر العباسي على يد المتنبي وأبي تمام وأبي فراس الحمداني إذ لم يكن ابن قرية البروة الواقعة في قضاء عكا الجليل طفلا استثنائيا من جهة حياة عاشها مع أسرته نازحا إلى لبنان بعيد الجرائم التي ارتكبتها العصابات الصهيونية في أرض فلسطين عام ١٩٤٧ ليعود الطفل مع أبويه بعيد هدنة ١٩٤٩ إلى أرضه ليجدها وقد حولها الصهاينة إلى مستوطنة زراعية .

تعرض درويش أثناء حياته للاعتقال من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي مرارا بدءا من عام ١٩٦١ بتهم تتعلق بتصريحاته ونشاطه السياسي وفي عام ١٩٧٢ توجه إلى الاتحاد السوفييتي للدراسة ليعود بعدها وفي العام نفسه سافر إلى القاهرة حيث التحق بمنظمة التحرير الفلسطينية ثم إلى لبنان حيث عمل في مؤسسات النشر والدراسات التابعة للمنظمة .

ولم يتخل الشاعر الذي كتب للأرض والإنسان عن مواقفه المبدئية إذ أنه استقال من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير احتجاجاً على اتفاقية أوسلو ليؤسس من قبرص مجلة الكرمل الثقافية التي اعتبرت من أهم المجلات الأدبية العربية بعد مرحلة مجلة شعر البيروتية .

ويعتبر صاحب «لماذا تركت الحصان وحيدا» من أهم مجددي النسق الشعري العربي المعاصر بكتابته لقصيدة التفعيلة وفق إيقاعات غنائية طالعة من روح الأرض والإنسان الفلسطيني المبعد عن أرضه وجذوره وصنف من أهم الأصوات التي أوصلت الحق الفلسطيني وقضاياه العادلة إلى كل أرجاء العالم حتى بات اسم محمود درويش عنوانا لهذا الحق عبر ترجمة قصائده إلى معظم لغات الأرض الحية .

ويعد النقاد أشعار درويش من النصوص ذات الطاقة الزمنية المستمرة بما تحمله من دفق وجداني عالي النبرة وقدرة استثنائية على صياغة حياة شعب بأكمله عبر دمج الهم الفردي الذاتي بالموضوعي وقول القصيدة الرافضة من خلال الذاتية ذات اللهجة الجماعية المتمردة .

يقول درويش في قصيدة لبيروت أثناء الاجتياح الإسرائيلي عام ١٩٨٢.... سقطت ذراعك فالتقطها واضرب عدوك لا مفر وسقطت قربك يا ابن أمي فالتقطني واضرب عدوك بي فأنت الآن حر وحر وحر.

ويتميز نص درويش الشعري منذ أول دواوينه عام ١٩٦٠ المعنون بـ «عصافير بلا أجنحة» بلغة هادرة قريبة إلى صوت النضال الفلسطينيّ المسلح وصوت الانتفاضة الفلسطينية التي كان أبرز من عبر عنها منذ أشعاره الأولى كما في «أوراق الزيتون ١٩٦٤» وديوانه «عاشق من فلسطين ١٩٦٦ « حيث اندمج النص الشعري هنا بهتاف الثوار الفلسطينين وعنادهم من أجل حق العودة .

يقول درويش..» ونحن نحب الحياة إذا ما استطعنا إليها سبيلا.. ونرقص بين شهيدين.. نرفع مأذنة للبنفسج بينهما أو نخيلا.. ونزرع حيث أقمنا نباتًا سريع النمو ونحصد حيث أقمنا قتيلا.. وننفخ في الناي لون البعيد البعيد.. ونرسم فوق تراب المر صهيلا.. نحب الحياة إذا ما استطعنا إليها سبيلا».

ويعتبر صاحب «الجدارية» من الشعراء العرب القلائل الذين جمعوا في قصائده بين جمهورين للشعر على طرفي نقيض الأول جمهور النخبة المثقفة التي تلقت قصائده بكثير من الدهشة والاحترام وثانيهما جمهور الشارع الذي أطلق عليه شاعر القضية بلا منازع حيث كان الإعلان عن أمسية شعرية لدرويش في إحدى العواصم العربية حدثا استثنائيا لكلا الجمهورين فلم يبتعد عبر نصوصه إلى تقعيرات اللغة وضبابيتها ولم يتنازل عن مستواه الفني الرفيع في ابتكار الدلالة وسوقها إلى مستقر النغمة الشعرية المتصاعدة وفق إيقاعات بيانية ومجازات لا نهائية في تصويرها للهموم الوطنية والقومية على حد سواء .

يقول درويش..» عندما يذهب الشهداء إلى النوم أصحو.. وأحرسهم من هواة الرثاء.. أقول لهم تصبحون على وطن من سحاب ومن شجن.. من سراب وماء.. أهنئهم بالسّلامة من حادث المستحيلِ « .

ويعد الشاعر العربي الكبير من أوائل الشعراء الذين اشتغلوا على بنية القصيدة الجديدة من غير أي انقطاع مع تراث الأمة وتاريخها الشعري بل بالتركيز أكثر على أبعاد هذا التاريخ مستلهما منه ملاحم كاملة يبدو فيها النص أقرب إلى الغرافيك الزمني للنص الشعري كما في قصيدته الطويلة «رحلة المتنبي إلى مصر» التي يتمثل فيها شخصية المتنبي مخاطبا إياه عبر العصور.. للنيل عادات وإني راحل الآن أشهر كل أسئلتي.. واسأل كيف اسأل و الصراع هو الصراع و الروم ينتشرون حول الضاد.. لا سيف يطاردهم هناك ولا ذراع. كل الرماح تصيبني وتعيد أسمائي إليّ.. للنيل عادات وإني راحل .

ويميز تجربة صاحب «ورد أقل» قدرتها على تغيير مناخاتها الإبداعية من حيث الحفر في اللغة العربية والتعويل على فرادة الصورة المختبئة في تجاور المفردات التي اشتغل عليها الشاعر متكئاً على سليقة نوعية في استلهام النبرة المؤثرة ذات التخييل العالي في تكثيف اللحظة الشعرية .

يقول درويش مخاطبا قمر بعلبك.». قمر على بعلبك.. ياحلو من صبك. فرساً من الياقوت.. قل لي ومن كبك.. نهرين في تابوت... ياليت لي قلبك.. لأموت حين أموت» .

وتعتبر موضوعة الموت من أكثر الموضوعات التي شغلت بال درويش في دواوينه الأخيرة ولاسيما حواره المطول معه في ملحمته الشعرية المعنونة بـ «الجدارية» حيث يستحضر الشاعر هنا أبطال ملحمة جلجامش خاصةً في قوله..

انكيدو هل تدري أنك ميت.. أو في قوله.. يا موت هزمتَ الفنون جميعها أو في.. يا موت ربما أسرجت لي فرساً لتقتلني على فرسي .

وللحب حضور في قصائد الشاعر الراحل باستثنائية وجدانية عالية استطاع من خلالها أن يقدم نصوصاً في غاية الرقة لرفيق دربه الفنان مارسيل خليفة كما في قصيدة «شتاء ريتا الطويل» حيث شكلا درويش وخليفة عبر ما يقارب ثلاثين عاما من الغناء والقصيدة أنموذجا يصعب تكراره في نقل قصيدة الحداثة العربية إلى مزاج واسع من جمهور عربي عريض تكنى بهذه التجربة وحفظها عن ظهر قلب وهذا ما عبر عنه الفنان خليفة في حفلته صيف العام الماضي على مسرح قلعة دمشق عندما دعا جمهوره هناك لإحياء ذكرى محمود بأغنية كتبها الشاعر لأمه هي «تعاليم حورية» التي قدمها مارسيل تحية لرفيق أناشيده من دمشق في ذكرى غيابه .

مقاطع من قصيدة لاعب النرد:

مَنْ أنا لأقول لكمْ
ما أقول لكمْ ؟
وأنا لم أكُنْ حجراً صَقَلَتْهُ المياهُ
فأصبح وجهاً
ولا قَصَباً ثقَبَتْهُ الرياحُ
فأصبح نايا ...

أنا لاعب النَرْد ،
أربح حيناً وأخسر حيناً
أنا مثلكمْ
أو أقلُّ قليلاً ...
وُلدتُ إلى جانب البئرِ
والشجراتِ الثلاثِ الوحيدات
كالراهباتْ
وُلدتُ بلا زَفّة وبلا قابلةْ
وسُمّيتُ باسمي مُصَادَفَةً
وانتميتُ إلى عائلةْ
مصادفةً ،
ووَرِثْتُ ملامحها والصفاتْ
وأمراضها :

أولاً - خَلَلاً في شراييني
وضغطَ دم مرتفعْ
ثانياً - خَجَلاً في مخاطبة الأمّ والأَب
والجدَّة - الشجرةْ
ثالثاً - أملاً في الشفاء من الانفلونزا
بفنجانٍ بابونجٍ ساخنٍ
رابعاً - كسلاً في الحديث عن الظبي
والقُبّرة
خامساً - ملالاً في ليالي الشتاءْ
سادساً - فشلاً فادحاً في الغناءْ ...

ليس لي أيُّ دورٍ بما كنتُ
كانت مصادفةً أن أكونْ
ذَكَراً ...
ومصادفةً أن أرى قمراً
شاحباً مثل ليمونة يَتحرّشُ
بالساهرات
ولم أجتهد
كي أجدْ
شامةً في أشدّ مواضع جسميَ سِرّيةً !

كان يمكن أن لا أكونْ
كان يمكن أن لا يكون أبي
قد تزوّج أمي مصادفةً
أو أكونْ
مثل أختي التي صرخت ثم ماتت
ولم تنتبه
إلى أنها وُلدت ساعةً واحدةْ
ولم تعرف الوالدةْ ...
أو : كَبَيْض حَمَام تكسّرَ
قبل انبلاج فِراخ الحمام من الكِلْسِ /
كانت مصادفةً أن أكون
أنا الحيّ في حادث الباص
حيث تأخّرْتُ عن رحلتي المدرسيّةْ
لأني نسيتُ الوجود وأحواله
عندما كنت أقرأ في الليل قصّةَ حُبٍّ
تَقمّصْتُ دور المؤلف فيها
ودورَ الحبيب - الضحيّةْ
فكنتُ شهيد الهوى في الروايةِ
والحيّ في حادث السيرِ /

لا دور لي في المزاح مع البحرِ
لكنني وَلَدٌ طائشٌ
من هُواة التسكّع في جاذبيّة ماءٍ
ينادي : تعال إليّْ !
ولا دور لي في النجاة من البحرِ
أنْقَذَني نورسٌ آدميٌ
رأى الموج يصطادني ويشلُّ يديْ

كان يمكن ألاّ أكون مُصاباً
بجنّ المُعَلّقة الجاهليّة
لو أن بوّابة الدار كانت شماليّةً
لا تطلّ على البحر
لو أن دوريّةَ الجيش لم تر نار القرى
تخبز الليل
لو أن خمسة عشر شهيداً
أعادوا بناء المتاريس
لو أن ذاك المكان الزراعيّ لم ينكسرْ
رُبّما صرتُ زيتونةً
أو مُعَلّم جغرافيا
أو خبيراً بمملكة النمل
أو حارساً للصدى !

مَنْ أنا لأقول لكم
ما أقول لكم
عند باب الكنيسةْ
ولستُ سوى رمية النرد
ما بين مُفْتَرِسٍ وفريسةْ
ربحت مزيداً من الصحو
لا لأكون سعيداً بليلتيَ المقمرةْ
بل لكي أشهد المجزرةْ

«تقاسيم» الشعلان تفوز بجائزة مغربية

■ الرباط - فازت القصة القصيرة المخطوطة غير المنشورة «تقاسيم» للأديبة الأردنيّة د. سناء الشعلان بالجائزة الأولى للدّورة الحالية للعام ٢٠١١ لجائزة أحمد بوزفور المغربية للقصة القصيرة.

وهذه الجائزة هي جائزة عربية متاحة لكلّ القاصين العرب بغض النّظر عن أعمارهم، وهذه الدّورة، هي التاسعة، وتحمل اسم «القاصة الراحلة مليكة مستظرف». وسيتّم تسليم الجائزة في المغرب في ملتقى مشروع بلقصيري للقصة القصيرة.

والقصة الفائزة التي تحمل عنوان «تقاسيم» تقدّم توليفة قصصيّة قائمة على ١٥ تقسيمة سرديّة تقدّم فنتازية تاريخيّة لعلاقة الأديبة الشعلان بالسّرد القصصي عبر توليفات سرديّة مختزلة لتجربتها الحقيقيّة مع الكتابة منذ كانت طفلة إلى لحظة كتابة النّص/تقاسيم.

فهذه القصة هي سيرة حقيقيّة للشعلان تؤرخ عبر تقنيّة الالتقاط المختزل والمكثّف لتجربتها مع الكتابة، فهي أقرب ما تكون إلى شهادة إبداعيّة عبر توليفات قصصيّة، وهي تقدّم شهادتها القصصيّة عبر تسجيلها في نصّ قصصي يستطيع أن يتحدّث بنفسه عن نفسه.

وقد عبّرت الشعلان عن سعادتها بهذا الفوز، وعدّته إنجازاً جديداً يُضاف إلى جملة إنجازاتها التي تفتخر بها، لاسيما أنّ هذا النّص كما تقول له مكانة خاصة في نفسها؛ لأنّه يقدّم سيرتها مع كتابة القصّة القصيرة عبر القصة القصيرة ذاتها.

إصدارات ثقافية

الرياضيات التحليلية بين القرن الثالث والقرن الخامس للهجرة

● صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية كتاب «الرياضيات التحليلية بين القرن الثالث والقرن الخامس للهجرة» الترجمة العربية للمجلدات الخمسة التي ألفها الدكتور رشدي راشد (باللغة الفرنسية) وهي ضمن سلسلة تاريخ العلوم عند العرب (٥/١٣) .

وهي دراسة موسوعية متكاملة في «الرياضيات التحليلية» تطمح الى تجميع وثائق هندسة اللامتناهيات في الصغر المكتوبة بالعربية وتحقيقها وشرحها وكتابة تاريخها خلال فترة ازدهارها القصوى بين القرن الثالث والقرن الخامس للهجرة (أي بين القرن التاسع والقرن الحادي عشر للميلاد)

يُعَدُّ هذا العمل الموسوعي ، الذي يستند إلى إحدى عشرة مخطوطة عربية ، خطوة هامة في اكتشاف المخطوطات العربية العلمية ، وفي إظهار وتحليل مدرسة عربية أصيلة في الرياضيات التحليلية والهندسية ورياضيات اللامتناهيات في الصغر، مع تتبع علمائها وتطورها وانتاجها واصالتها .

ويحظى الرياضي الحسن ابن الهيثم ، في هذه المجموعة القيمّة بمرتبة عالية ، باعتباره مبتكراً في العلوم الرياضية في عصره ، وموثراً في من جاء بعده مَنْ علماء البصريات تحديداً، وعلوم الفيزياء عامة .

وتبقى الترجمة العربية لهذه المجلدات الخمسة ، محافظة ، حتى درجة عالية من المسؤولية والحرَفيّة ، على ما جاء في النص الأصلي (باللغة الفرنسية) وهو إنجاز تراثي كبير يقدمة مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع مدينة الملك عبد العزيز للعلوم التقنية إلى القارىء العربي.

انطباعات رحالة ياباني عن فرنسا

● أبوظبي - يتعرّض الكاتب ريتشارد كورتمبارت بأسلوب قصصي رائع إلى تطوّر الحياة الاجتماعية والثقافية في فرنسا أواسط القرن التاسع عشر وذلك من وجهة نظر رحّالة ياباني عبر كتابه «انطباعات رحالة ياباني عن فرنسا .. وملحق عن انطباعات الفيتناميين عن أوروبا» والكتاب الصادر عن مشروع «كلمة» للترجمة التابع لهيئة أبوظبي للثقافة والتراث، إلى جانب متعته القصصية، يطرح إشكاليات من زاوية نظر أخرى تهم القارئ العربي، لعلّ أهمّها إشكالية تطوّر الغرب وتخلف الشعوب الأخرى.

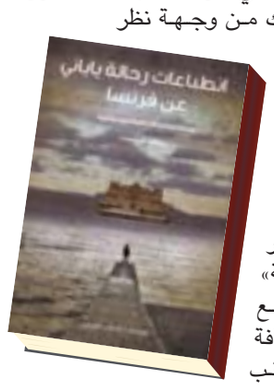

ويرصد الكتاب - الذي قام بترجمته الطيب الوراري وراجعه الدكتور ماهر تريمش - التحولات الحاصلة في المجتمع الفرنسي وانعكاساتها على العادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية، كما يتعرض إلى بروز المكانة الجديدة للمرأة ونظرة المجتمع للعلماء ودور المال في نحت العلاقات والصراع بين الحديث والقديم ويبرز الحركة الثقافية الناشئة من خلال المسرح والمكتبات ونشاط الجامعات.

مؤلف الكتاب ريتشارد كوتمبارت، جغرافي وكاتب فرنسي عاش ما بين ١٨٣٦-١٨٨٤ وهو محرر مشارك في مجلة العلم للجميع وله العديد من المؤلفات من بينها: «أمريكا والأعمال الأميركية»، و«التاريخ الحديث للرحلات والاكتشافات الجغرافية الكبرى في كل الأزمان وكل البلدان»، و«مأساة في قاع البحر»، و«شعوب ورحّالة معاصرون».

مترجم الكتاب الطيب الوراري حاصل على الأستاذية من مدرسة الدراسات التجارية العليا بقرطاج يكتب في مجلة حقائق « Réalités « نقل من العربية إلى الفرنسية كتاب «دراسات في القانون الجنائي» للدكتور محمد الكامل سعادة.

ملامح الأفلام التسجيلية الفلسطينية

● في كتابه «ملامح الأفلام التسجيلية الفلسطينية» الصادر حديثاً عن دار العين للنشر بالقاهرة ، يتناول المخرج الفلسطيني علاء الدين عياش دور هذه الأفلام في توثيق النكبة وخدمة القضية الفلسطينية.

ويلفت عياش إلى أن هذه الأفلام لها أهمية كبيرة في دعم النضال الوطني الفلسطيني، وصولا إلى حق تقرير المصير الفلسطيني، خاصة أن دراسته جاءت خلال فترة زمنية مهمة في تاريخ الشعب الفلسطيني، وهى إنتفاضة الأقصى، والتي أعادت للقضية أوجها وقوتها.

وتهدف الدراسة إلى التعرف على كيفية معالجة الأفلام التسجيلية الفلسطينية للقضية كما تسعى إلى التعرف على القضايا والموضوعات التي تتناولها تلك الأفلام التسجيلية، كما تناولت الدراسة جهات التمويل والإنتاج لهذه الأفلام، وأهم القضايا والموضوعات التي تناولتها، وحدود استخدام عناصر الصورة، والصوت فيها، والشخصيات التي تتناولها، كما تناولت الدراسة أيضا أهم العلاقات الارتباطية بين المتغيرات المختلفة، ومنها متغير القضايا والموضوعات ومتغير نوع المخرج، وبين متغير القضايا والموضوعات ومتغير مكان إقامة المخرج.

ويلفت عياش إلى أن دراسته اقتصرت على المخرجين الفلسطينيين المقيمين في الضفة الغربية وقطاع غزة والأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨ داخل الخط الأخضر.

ويتناول مؤلف الكتاب بدايات السينما الفلسطينية لافتا إلى إنها كانت فردية وبسيطة، وبدأت على يد إبراهيم حسن سرحان، واتسمت السينما التسجيلية الفلسطينية خلال الستينيات والسبعينيات بالإنفعالية والخطابية، وتغطية أحداث معينة، لذا كانت تبدو إرتجالية.

ويشير المؤلف إلى أن الموضوعات والقضايا التي تناولتها الأفلام التسجيلية الفلسطينية كانت متنوعة خلال فترة التسعينيات من القرن العشرين.

ولم عياش أن يتناول إقبال الجمهور الفلسطيني على مشاهدة الأفلام التسجيلية، حيث يؤكد في كتابه أن إقبال الجمهور الفلسطيني عليها ضعيفا، لكنه يتحسن، ويزداد، مرجعا سبب هذا الضعف لرغبة الفلسطيني في الهروب من هذا الواقع الشؤم، مؤكدا على أن الأفلام التسجيلية الفلسطينية لها جمهور غربي كبير، ويعتبرها بمثابة مصدرا للمعلومات عن الوضع الفلسطيني.

ويتكون الكتاب من ثلاثة فصول، يتناول المؤلف في أولها الإجراءات المنهجية للدراسة وأهدافها وتساؤلاتها، ونطاقها، وأدوات جمع البيانات الخاصة بها، ويتناول في الثاني مراحل تطور السينما التسجيلية الفلسطينية وملامحها، وإنتاجها وشركات الإنتاج الفلسطينية والمهرجانات الفلسطينية السينمائية.

وفى الفصل الثالث من الكتاب، يتناول عياش المأزق الفلسطيني بتفاصيله، بدءا من وعد بلفور، إلى نهاية عام ٢٠٠٨، بما فيها فترة إنتفاضة الأقصى يوم ٢٨ سبتمبر عام ٢٠٠٠، وما يتعلق بها، كما يتناول قضية الجدار الفاصل ومعاناة الفلسطينيين منه، كما يتناول قضية اللاجئين الفلسطينيين، والمعابر والحصار على غزة، والاجتياحات الإسرائيلية للمدن والمخيمات الفلسطينية، ويعرض المؤلف الأفلام التي تناولت هذه الموضوعات، ومنها أفلام قوس قزح، ونشيد الاحتضار، وفيلم جنين جنين الذي تناول مجزرة مخيم جنين عام ٢٠٠٢، وفيلم « جنينغراد الشاهد والشهيد».

كما يتناول المؤلف في كتابه للأفلام التي تناولت قضية الأسرى والمعتقلين مثل فيلم « نساء في صراع» وهو فيلم للمخرجة الفلسطينية بثينة خوري وهى من الأعضاء المؤسسين في جماعة السينما الفلسطينية، وهو فيلمها التسجيلي الأول الذي تناول قضية الأسيرات اللواتي دخلن السجون الإسرائيلية منذ البدايات الأولى للنضال الفلسطيني.